

الطاعون ❦ ❦

قامت البلاد المصرية وقعدت في هذه الايام لحبر فاجأ القطر من جهة الاسكندرية يحقق ظهور الوباء في ذلك الثغر منذ اواخر الشهر الغابر .
 ألا وهو النبا الذي ارتعدت له المفاصل وهلعت القلوب لتقدم هذا الزائر المشؤوم الذي لم تنس مصر ما كان له فيها من الفتك الذريع فيما مضى ولا تزال تقشعر الابدان لما يرد علينا من انبائه في الهند وما بسط على اقطارها من اجنحة الفناء ودمر في ارجائها من المدن الغناء . وكيف لا وهو العدو الذي لا يعرف اي طريق يسلك ولا بأي سلاح يقاوم والذي اذا وطئ ارضاً قضى فيها الفصل بعد الفصل والعام بعد العام فتجدد فيها مع الاعقاب ولم يفارقها الا وهي يباب

وقد كان اول ما ظهر من اُشراط الداء على ما جاء في جرائد الثغر في الرابع من الشهر الغابر وقد اصيب رجل يوناني بما يشبه اعراض الطاعون فعزل من منزله بالمهاميل الى المستشفى اليوناني الا ان الاعراض لم تكن واضحة فبقي الامر مشكوكا فيه ولبث تحت حجاب الكتمان الى ان كان اليوم السابع عشر من الشهر فأصيب رجل آخر من اليونان بالاعراض نفسها فعزل ايضا من منزله بشارع السبع بنات الى المستشفى المذكور وتواترت الاصابات بعد ذلك والاطباء بين مثبت للداء وناف له حتى بلغت في اواخر الشهر عشر اصابات فثبت لهم بتكرار الفحص والمراقبة ان الاعراض اعراض الطاعون بنفسها وايد ذلك ما عاينوه من جرائمه الخاصة مما لم يبق موضعاً للريب

أما طريق انسلاله الى القطر مع ما بديل في منعه من التحوطات والنفقات فقد اختلفت فيه الاقوال ولا يبعد انه كان من الثلثة التي حدثت في محجر عيون موسى بفرار ثلاثة من رجال الانكليز الوافدين من الهند ودخولهم القطر على الجمال وذلك قبل الاصابة الاولى التي حدثت في الاسكندرية بنحو نصف شهر . وقد افاضت الجرائد في ذلك عند حدوثه وتوقعت وراه شراً كبيراً ثم درجت على اثره الايام الى ان تنوسي الامر او كاد وأمل الكثيرون ان ينقضي على غير تبعة تخشى فلم يفلح الامل ولم يكذب الحذر ومضى القضاء في وجهته وظهر الداء واصبح القطر كله في قبضة الخطر تهده كل ساعة واصبحنا في موقف لا وافي منه الا رحمة الله والله لطيف بالعباد

وقد بلغت الاصابات في الاسكندرية الى يوم كتابة هذا الفصل (١٢ يونيو) ٢٤ اصابة توفي من اصحابها ٧ وشفي ٦ والباقيون تحت المعالجة . والظاهر ان الداء قد تناول اكثر احياء الاسكندرية مما يدل على ان الذرائع التي اتخذتها الحكومة لحصره كانت غير كافية وفوق ذلك فان الصلات بين الاسكندرية وسائر جهات القطر لا تزال على عهدا بحيث ان طريق الداء ممدد الى كل ناحية من نواحيه على حين قد أعد له في كل بلدة يومها مرعى خصيب من الاقدار المنتشرة في الازقة والمنازل بحيث ينزل على الرطب والسعة . وما زالت الجرائد تصدر كل يوم وهي غاصة بالتنبيه والتحذير وتحريض اولي الامر ان يتداركوا هذا الخطر العميم بتوجيه العناية الى ازالة تلك الاقدار التي لا تلبث ان تصير باسرها طاعوناً ينتشر في سماء

القطر وارضه ويحتاج ارواح الالوف المؤلفة من سكانه ورجال الحكومة لا يزيدون ذلك النداء الا تصاماً واعراضاً حالت كونهم يرون البلاء واقفاً بالرصاد وقد صار اقرب الى النفوس من جبل الوريد. وقد قلقت حكومات اوربا بأسرها خوفاً من تخطي الوباء الاسكندري اليها وتأهبت لصدّه ومقاومته وحكومتنا متقاعدة عنه حتى اعجزها حصره في حي من احياء الاسكندرية فما الظن بحصره في مدينة الاسكندرية نفسها. بل هي قد استسلمت للبلاء واهملت حتى التفتيش الصحي على القادمين من الاسكندرية الى سائر مدن القطر وهو اقل ما تتخذه الحكومات من الذرائع في مثل هذه الاحوال واخذت من اليوم تستعدّ لنفسيه في البلاد فأعدت له في العاصمة مكاناً مخصوصاً في العباسية لنقل المطعونين اليه ولعلها قد أعدت اناساً مخصوصين لدفن من يموت به... عظم الله اجر حكومتنا في رعاياها وجعل كل من يموت منهم فدّى عنها

بقي انه اذا كان هذا مبلغ ما عند الحكومة من الاهتمام بوقاية البلاد من شر الوباء فلا اقل من ان يحتاط كل فرد لنفسه بما تفرضه القوانين الطبية والصحية على قدر ما يستطاع اليه السبيل. وقد اقترحنا على حضرة النطاسي الشهير الدكتور شبلي شمیل اجابة لطاب كثيرين من قراء الضياء كتابة فصل في هذا المعنى يلخص فيه وصف الداء وطرق انتشاره ووجوه الوقاية منه فابي الى ذلك بما طبع عليه من الغيرة والارحمية وما عرف به من خدمة الانسانية وهذه صورة ما تفضل علينا به قال حفظه الله

الطاعون

الطاعون مرض قديم جداً من امراض العالم القديم وقد ورد ذكره في كتب ابقراط وفي سياق حكاية طويلة لم يذكر فيها سوى هول المرض وانتقاضه على بلاد الفرس واستغاثة ملك الفرس به ورفضه اغاثته ولكن لم يذكر فيها شيء من اعراضه الفارقة. ولعله في الاصل اسم للوباء على الاطلاق وقد عرفه ابن سينا انه اسم كان يطلق في الاصل على كل ورم غدي ثم قيل مع ذلك لما كان منه قتلاً قال « وأسلم الطواعين ما هو احمر ثم الاصفر والذي الى السواد لا يفلت منه احد والطواعين تكثر في الوباء وفي بلاد وبيته » وهو اليوم اسم لمرض عفني حمي مستوطن في بعض الجهات ووافد في البعض الآخر

وقد كان الطاعون كثير الانتشار جداً في العصور القديمة وانتقض على اوربا في العصور الوسطى وعات فيها كثيراً وكان مستوطناً في مصر حتى عدت مصر منشأ له وبقي كذلك الى سنة ١٨٤٥ وانحصر في الشرق الاقصى حيث يثور ويهجع منقطعاً من جهة ليظهر في غيرها وانتقل منه مراراً الى جهات اخرى كبلاد ما بين النهرين وبلاد العجم وبعض الجهات في روسيا وقد ظهر في الهند في المستعمرات الانكليزية من نحو اكثر من ستين ولا يزال في بمباي حتى اليوم

وبعد ان غاب خمساً وخمسين سنة عن مصر عاد فظهرت منه بعض حوادث في اوائل الشهر الماضي في الاسكندرية وحتى كتابة هذه الاسطر لم يتجاوز عددها حوادث معدودة والارجح انه اتاها منتقلاً من الهند ولكن كيفية ذلك

لم تعلم جيداً . ويظن انه انتقل اليها مع البضائع لا مع الناس
وكان القول سابقاً ان الطاعون مرض غير معدٍ وانه من الامراض
الميازمية وهذا كان مذهب كلوت بك ومن تبعه من الاطباء الفرنسيين
في ذلك العهد . والجمهور بعده على انه مرض معدٍ شديد العدوى حتى ان
العامه في مصر كانوا يعتقدون ذلك ويتقونهُ باجتناح مخالطة المطعونين
والعزلة في بيوتهم وحتى ان الدول في كل الجهات اقاموا في الماضي الحاجر
لضرب الحجر على جميع الصادرات وعلى الناس الآتين من بلاد موبوءة .
ولكن سرَّ العدوى لم يعلم جيداً الا من بضع سنين والفضل في ذلك لواحد
من المتخرجين في معمل بستور اسمه يرسين فانه اكتشف في الطاعون
الذي فشا في هنكغ من بلاد الصين في سنة ١٨٩٤ مكروراً ظهر من
الامتحانات الكثيرة انه سبب هذا الداء الوبيل وجاءت ابحاث كيتازاتو في
ذلك العهد موافقةً لذلك ايضاً واليوم لم يبق شك في ان مكروب يرسين
هو مكروب الطاعون الخاص به .

فالعدوى اذا هي انتقال مكروب هذا الداء من مريض الى صحيح
ومن بلاد وبيئة الى بلاد سالمة من الوباء فلا بد في العدوى اذاً من مخالطة
المريض او ملامسة ما لامسه

وكان يُظن ان العدوى تتم بانتقال سم المرض بالهواء ونفوذهِ الجسم
عن طريق المسالك الهوائية وهذا القول وان لم يكن عندنا ما يتقضه
فليس لنا ما يثبته واذا كان للهواء شأن في نقل العدوى فقد يكون ذلك
بما ينقلهُ من الغبار العالق به شيء من مكروب هذا الداء فيلقيه على سطح

الجلد والنشاء المخاطي للغم والانسفاذا كان فيها سحج او جرح او اي تفرق
اتصال اختمر هناك وتكاثر ونفذ الى باطن الجسم كما يحصل في التلقيح اذ ثبت
اليوم من الامتحانات الكثيرة ان هذا الداء لا ينتقل الى سليم الا بالتلقيح
وهو لا ينتقل عن طريق القناة الهضمية كسائر الامراض المعروفة
لانهم امتحنوا ذلك بأن اطعموا بعض الحيوان الذي يفتك به الطاعون
فتكا ذريعاً كالفيران من مستنبتات مكروب الطاعون فلم يُصب به . وعليه
فاذا كان للطعام شأن في احداث العدوى فيكون ايضاً من وجود قروح
او جروح في الغشاء المخاطي للغم والحلق تلتصق به . وكذلك لا ينتقل بالشراب
لان هذا المكروب لم يوجد في الماء بل بالضد من ذلك وجدوا ان الذين
كانوا مقيمين في السفن والمراكب في الانهر او البحار في وقت الطاعون
نجوا منه

ومما يساعد على التلقيح قرص الحيوانات الحمية كالذباب وخصوصاً
البراغيث فانهم جعلوا اليوم لهذه الحيوانات الصغيرة شأناً كبيراً في نقل العدوى
ومن الحيوانات التي يعرض لها الداء الفييران حتى لقد يسبق انتشار
الطاعون بين الناس موتان كثير فيهما وقد عرفوا ذلك في الشرق الاقصى
حتى اذا رأوه تركوا مساكنهم وفرّوا هارين

وبدرس طبائع هذا المكروب عرفوا انه يجب الرطوبة القليلة والحرارة
اللطيفة ولا يقوى على البرد الشديد ولا على الحرارة الجافة ولو لم تتجاوز ٨٠
ومزيلات الفساد كلها تهلكه ولو ضعيفة فهو من هذه الحيثية اضعف من
سائر المكروبات المرضية المعروفة مما يجعل الوقاية منه أسهل من الوقاية

منها. وهو يجب جداً القنطرة ولذلك كان كثيراً في المدن القنطرة والاماكن
الفاسدة الهواء التي يترام فيها الناس وبين الفقراء وقلما يعرض في الجهات
النظيفة المساكن والسكان

واعراض هذا الداء حتى قد تكون شديدة جداً وقد تكون خفيفة للغاية
وتتبعها اعراض عمومية نظيرها يعقبها ظهور اورام في غدد الأربية او الابط
او العنق تسمى دُبيلات وغالباً تكون وحيدة. وقد تظهر جهرات وفلغمونات
في اقسام اخرى من البدن اذا طالت مدة الداء وكان شديداً وغالباً تهبط
الحُمى اذا تقيحت الدُبيلة وقد يدل ذلك على انكسار حدة المرض ولكن يجوز
ان تشتد الاعراض العمومية بعد ذلك أيضاً وتندر بسوء المصير

والعلاج لا تختلف مدلولاته عنها في علاج سائر الامراض الويلة
اي العفنية ويناط امره بالطبيب الداوي. على انهم بعد اكتشاف مكروب
هذا المرض حاولوا ان يوجدوا له علاجاً خاصاً به كما اوجدوا ذلك للدفتيريا
فاكتشفوا مصلاً زعموا انه يشفي من الداء وجروا في استحضاره على طريقة
استحضار مصل الدفتيريا باستنبات المكروب في اجسام الخيل والظاهر ان
نفع هذا المصل لم يثبت كما ثبت لمصل الدفتيريا. ومهما يكن فهو العلاج
الاصوب في علاج هذا الداء وسائر الادواء الخاصة لانه هو الطريقة التي
تسير عليها الطبيعة في شفاء العلل وسيكون لهذا العلاج شأن عظيم في
المستقبل لكن الصعوبة هي في الاهتداء الى كيفية استحضار المصل وهذا
تتكفل به التجارب في المستقبل وهو اعظم اكتشاف في هذا العصر والعصور
السابقة في علم العلاج والفضل فيه لبستور الفرنسي وتلامذته

وقبل ان نختتم الكلام في هذا المرض لا بد لنا ان نتكلم عن الوقاية
منه وهي كالوقاية من سائر الامراض الوبائية تقوم بالعزلة اي عزلة المكان
وعزلة السكان لمنع كل اتصال مع البلاد الموبوءة ومنع مخالطة الاصحاء للمرضى.
بل هي اسهل منها لضعف مكروب الطاعون عن المقاومة كما علمت مما مضى.
ولا ريب ان النظافة الحقيقية اعظم وسائل هذه الوقاية ويراد بها نظافة
المدن ونظافة المساكن ونظافة السكان والأرجح انه لا خوف الآن على مصر من
انتشار هذا الداء لان قلة الحوادث وعدم تفشيها من عهد ظهورها وسلامة
المصابين غالباً تدل على ان سم المرض خفيف جداً ولان الفصل الحار لا
يلائمه ونحن على ابواب الصيف. ولعل شدة تيقن الحكومة والشعب
الى وسائل الوقاية مع ذلك تساعد على استئصال شأفته قبل انقضاء فصل
الحر ودخول فصل البرد وهو الفصل الذي كان الطاعون يشتد فيه في هذه
البلاد. انتهى

مِثْقَات

حرارة الشمس - حسب علماء الطبيعة انه لو اوقد كل ما في الارض
من الفحم دفعة واحدة لما زاد على ما تبعثه الشمس من الحرارة في عشر ثانية
تقدير عدد الاسماك - قدر الاستاذ هربرت احد مشاهير علماء
الاسماك ان كل ميل مكعب من ماء البحر يشتمل على ١٢٠ مليوناً من السمك